الأندلسيون وتنشيط حركية الواجهة البحرية للمغرب الأوسط

أ./ رفيق خليفي
جامعة الأمير عبد القادر
قسنطينة

تقديم

بعد أن انتهت عملية الفتح في الأندلس وأخذت الأوضاع تستتب فيها أضحت موازين الجذب والطرد تختلف لصالحها، فأصبحت الأندلس هي المبادرة بشكل واضح لتوثيق الصلات مع المغرب الأوسط وغيره بأشكال متنوعة عبر ثلاث مراحل كبرى، هي : مرحلة التجار ثم البحارة ثم الجالية.

أولا : التجار الأندلسيين وتفعيل حركية الواجهة البحرية للمغرب الأوسط

قبل الحديث عن نشاط الأندلسيين في سواحل المغرب الأوسط ينبغي أن نعطي صورة عن البحرية الأندلسية لتوضيح الرؤية بالنسبة للفقرات الآتية :

أ- ظهور الأندلس كقوة بحرية

كان لطبيعة الأندلس البحرية والجغرافية دور أساس في ظهور قوة بحرية بها ؛ كونها منطقة معزولة عن العالم الإسلامي جغرافيا ؛ وكونها شبه جزيرة يحيط بها البحر (البحر الأبيض

المتوسط والمحيط الأطلسي) من جهاتها الثلاث، وكان ذلك سببا في تعرضها لغارات وغزوات بحرية من الجهة الشرقية الشمالية بالخصوص منذ القدم، ومن هنا كانت الحاجة ماسة إلى الاهتمام بالبحر والأسطول.

وأول عامل أعتبرُه أساسيا في نشوء البحرية الأندلسية هو تركيبة المجتمع نفسه وما يحمله من موروث في هذا الميدان ؛ وأعني هنا المولدين أهل البلاد الإسبانية، وعرب اليمن الذين استوطنوا الأندلس حيث كانوا أكثر من غيرهم بعد هؤلاء المولدين، وهم معروفون منذ زمن بعيد بحضارتهم وبركوبهم البحر فإليهم ينسب أول أسطول عربي ؛ وكانت لهم تجارة رائجة ؛ إذ عملوا على الربط بين "المشرق" و"المغرب" أي بين الهند والصين من جهة وبين الجزيرة العربية والشام ومصر من جهة أخرى[1]، لذا قيل : "أبعد الناس نجعة في الكسب بصري وحميري (أي يمني) ؛ ومن دخل فرغانة القصوى والسوس الأقصى فلا بد أن يرى بصريا أو حميريا"[2]، وهذا يعكس حقيقة وصف المقدسي لأهل الأندلس حيث يقول عنهم : إنهم "يكثرون التجارات والتغرب"[3].

ولعلّ هذا يفسر التناقض الحاصل في حيوية النشاط البحري الأندلسي ؛ فإن الاهتمام الأول بالبحر لم يكن صناعة رسمية تقوم عليه الدولة في مرحلتي الولاية والإمارة ؛ بل كان صناعة جماهير من الطموحين والمغامرين، فقد وُصف أبو فُريعة الذي تكفل بنقل عبد

الرحمن الداخل من العدوة المغربية إلى العدوّة الأندلسية بأنه "كان له بصر في ركوب البحر لتصرفه فيه"[4].

فقد عوض البحارة الأندلسيون السلطة الرسمية فكونوا جماعات وكيانات تشتغل بالتجارة والغزو البحري لحسابها الخاص، متمركزين في الساحل الشمالي الشرقي بين طرطوشة وبلنسية ومركز آخر في الساحل الشرقي الجنوبي وتحديدا في مرية بجانة (أرش اليمن)، ومع مرور الوقت أصبحت هذه الكيانات أشبه ما تكون بالجمهوريات البحرية، تولت إلى جانب الوظيفتين، السالفتي الذكر، حراسة السواحل الأندلسية من خطر النورمان وغيرهم، وتولت إدارتها بيوتات عريقة كأسرة بني سراج القضاعية اليمنية وبني الأسود الغسانيين وبني رماحس وغيرها[5].

أما الاهتمام الرسمي بالبحر فقد جاء نتيجة لتبلور الوعي بضرورته من جهة وخطره من جهة أخرى، حيث شن النورمان سنة 229هـ غارة على الأندلس من جهة البحر وتمكنوا من التوغل إلى داخل الأندلس حتى وصلوا إشبيلية وكانت آثارهم مدمرة في بعض المدن، فعمد الأمير عبد الرحمن الأوسط بعد التخلص من خطرهم إلى بناء دار صناعة في إشبيلية في السنة الموالية، وكانت صناعة السفن تسير بوتيرة متسارعة جدا ؛ فقد ذكر ابن حيان أن الأمير أرسل حملة سنة 234هـ لتأديب أهل جزيرتي ميورقة ومنورقة 300 مركبا لخروجهم عن الطاعة وإضرارهم بالملاحة البحرية حين

تعرضوا لسفن التجار والمسافرين[6]، وهذا عدد معتبر جدا مقارنة بالسنوات الخمس القليلة التي مرت على إنشاء دار الصناعة الأولى.

وفي مطلع القرن الرابع الهجري الذي استهل باتفاق بين الفاطميين والثائر الأندلسي عمر بن حفصون ؛ كان العمل بموجبه يهدف إلى اسقاط البيت الأموي الحاكم وإزالته نهائيا لصالح أحد الطرفين، فأدرك الأمير – الخليفة عبد الرحمن الناصر قيمة الأسطول البحري فزاد من إنشاء دور الصناعة في كل من طرطوشة ومالقة ولقنة ودانية والجزيرة الخضراء وغيرها، مما جعل المؤرخين يصفونه بأنه المؤسس الحقيقي للأسطول الأندلسي[7]، الذي أضحى في هذه الفترة ندا لأسطول الفاطميين -مفخرة البحرية الإسلامية لقرون- وأدى هذا إلى انحصار الصراع البحري في الحوض الغربي للمتوسط بين هاتين القوتين الإسلاميتين.

وتجدر الإشارة هنا إلى أن الصراع الفاطمي الأموي لا ينبغي النظر إليه من زاوية العداء التقليدي والاختلاف العقدي والمذهبي ؛ وإنما من زاوية "حرب المواقع" أي السيطرة على المسالك التجارية[8] والتحكم في تجارة البحر المتوسط خصوصا تجارة الذهب والرقيق.

والذي يعنينا هنا أن قوة الأسطول الأموي أوجد قاعدة صلبة لتحركات تجار وبحارة الأندلس خصوصا بعد رحيل الفاطمين إلى مصر سنة 351 هـ، لما وفر لهم من أمن في عرض البحر فكسبوا خبرة فائقة في الملاحة البحرية مكنتهم من الوصول إلى الأقاصي :

الهند والصين، ومن نافلة القول أن نذكر أنه على الرغم من الصراع القائم بين الطرفين المشار إليهما سلفا إلا أن التجار كانوا يتحركون ويتنقلون بين موانئ الخصمين بحرية كبيرة، وإن حصل العكس فهو استثناء[9].

ب- التجار الأندلسيين في سواحل المغرب الأوسط

ساعدت وضعية المغرب الأوسط المتربع على مسافة 1200 كلم كشريط ساحلي تكثر فيه الموانى والمراسي المهمة في رواج الحركة التجارية واستقطاب روادها من الأندلسيين بالخصوص[10].

وقبل أن نتطرق إلى الحديث عن النشاط التجاري لهؤلاء الأندلسيين سنستعرض أهم الموانى والمراسي للمغرب الأوسط كما وردت عند الجغرافيين مراعين التسلسل الكرونولوجي لظهور مؤلفاتهم.

أشار ابن خرداذبة[11] الذي أنهى كتابه حوالي سنة 232 هـ إلى مرسيين فقط هما مرسى تنس الذى كان "عدوة الأندلسيين" شأن مرسى تونس، وكذا مرسى جزيرة بني مزغنة التي وصفها بأنها مدينة عامرة وعلى غاية من الخصب والسعة، وقد نقل عنه الإصطخري[12] في النصف الأول من القرن 4هـ نفس المعلومات ؛ لذا لن نضطر إلى ذكره.

1- وذكر اليعقوبي (ت 284 هـ) : مرسى أسكيدة (سكيكدة)، مرسى جيجل، مرسى قلعة خطاب، مرسى ملر، مرسى دنهاجة، مرسى فروخ، تنس[13].

2- أما ابن حوقل البغدادي[14] (توفي بعد 367هـ) فهو الأكثر أهمية بالنسبة للمصادر المشرقية فقد ذكر : مرسى الخرز، بونة، جيجل، بجاية، بني جناد، مرسى الدجاج، جزائر بني مزغنة، تامدفوس، أشرشال، برشك، تنس، عطا، قصر الفلوس، وهران، واسلن، أرجكوك (أرشقول).

3- وذكر المقدسي (ت 380هـ) كل من : مرسى الخرز، بونة، مرسى الزيتونة، جيجل، مرسى الدجاج، جزائر بني مزغنة، تنس، قصر الفلوس، وهران، أفكان[15].

4- أما البكري (ت 487 هـ) فهو مهم جدا وكتابه يضم مزايا متعددة[16] إذ ذكر مراسي لم يُعد ذكرها في المصادر التى جاءت بعده وهي إجمالا كالآتى : مرسى الخرز، بونة، الخروبة، مرسى ابن الألبيري، رأس الحمراء، تكوش، جزيرة عمر، مرسى الروم، مرسى أستورة، القل، مرسى الشجرة، مرسى الخراطين، مرسى الزيتونة، جيجل، سبيبة، بجاية، جزيرة جوبة، مرسى الدجاج، مرسى بني جناد، جزائر بني مزغنا، جزيرة جنابية، مرسى الذيان، هور، مرسى البطال (جبل شنوة)، شرشال، جزيرة وقور، تنس، قصر الفلوس، مغيلة بني هاشم، عين فروخ، مرسى بني جليداسن، مرسى الغزة (ساحل تيهرت)، مستغانم، أرزاو، وهران، مرسى الماء المدفون، مرسى أسلن، أرشقول، هنين، مرسى ماسين (ساحل ندرومة)، مرسى ترنانة، مرسى تابحريت[17].

5- أما الإدريسي (ق 6 هـ)[18] فهو مهم أيضا ومادته غزيرة ؛ فقد ذكر مرسى الخرز، بونة، مرسى رأس الحمراء، تكوش، مرسى الروم، أستورة، القل، مرسى الزيتونة، جيجل، مزغيطن، فج الزرزور، المنصورية، متوسة، بجاية، جرية (أو جوبة أو جوية)، الدهس الصغير، الدهس الكبير، زفون، بني عبد الله، تدلس، بني جناد، مرسى الدجاج، تامدفوس، جزائر بني مزغنا، هور، البطال، شرشال، برشك، وقور، أمتكو، الجون، تنس، قلوع الفراتين، جزائر الحمام، جوج، مستغانم، أرزاو، المرسى الكبير، وهران، الحرشا، الدفالى، بني وزار، جزائر الغنم، أسلان، أرشقول، جزيرة القشقار، مرسى الوردانية، هنين، فكان، تابحريت، تافركنيت.

إن عدم ورود ذكر بعض المراسي عند الإدريسي والتي ذكرها سلفه البكري ؛ يدل على أن السلطة الحمادية ثم الموحدية كانت تسيطر على حركية السفن الأندلسية من وإلى أراضيها، عن طريقة "مركزية التجارة في بعض المراسي المعينة"[19]، دون المساس بروح حركتها.

6- أما صاحب الاستبصار[20] فذكر : مرسى بونة، القل، جيجل، بجاية، مرسى الدجاج، جزائر بني مزغنة، لغانية (جنابية عند البكري)، شرشال، تنس، قصر الفلوس، وهران، مرسى حصن زيان، الوردانية، ندرومة، ترنانة.

فهذه المراسي المتعددة ليست على نسق واحد من حيث الأهمية والمزايا ؛ بل تتفاوت في ذلك لظروف متعددة، ونتيجة لذلك اختلف اهتمام التجار الأندلسيين بها، ومن الملاحظ أن ارتباط حيوية الواجهة البحرية للمغرب الأوسط بالنشاط الأندلسي أخذت تزداد منذ النصف الأول من القرن الثالث، وبلغت الذروة في القرن السادس بعد أن أصبحت العدوتين كيانا موحدا تحت سلطة الموحدين، وقبل أن يظهر منافس آخر من خارج المنظومة البحرية الإسلامية ؛ أي تجار الجمهوريات الإيطالية خاصة تجار جنوة التي وقعت أول معاهدة سنة 531 هـ/ 1137م أو في السنة الموالية لها مع بجاية في العهد الحمادي، ثم شملت المعاهدات مراسي أخرى وبشكل كثيف في العهد الحفصي[21]، وهذه الحركية تنفي مزاعم هنري بيرين Henri Pirenne الذي يحمل الفتح الإسلامي مسؤولية انهيار ما يسميه بحضارة البحر المتوسط[22].

فأول مراسي المغرب الأوسط من ناحية الشرق هو مرسى الخرز الذي اشتهر باستخراج المرجان الأحمر وتصديره إلى مختلف الآفاق، إذ كان له رواج في الهند والصين ومعظم بلدان المحيط الهندي التي لا يوجد بها إلا المرجان الأبيض[23]، وهو "أنفس مرجان الدنيا"[24]، والمقصود بقول القدامى : "يقال في خصائص البلاد في الجواهر : فيروز نيسابور وياقوت سرنديب ولؤلؤ عمان....**ومرجان إفريقية**"، [1] والخرز قرية وليست مدينة لكن اكتسبت مكانتها من

---

1 Deluz, J.J : l'urbanisme et l'architecture d'Alger, aperçu critique. Alger OPU, 1998, page 13

رواج تجارة المرجان بها ووفود السماسرة التجار من الأندلسيين خصوصا، ولفساد هوائها ما كانوا يستوطنوها[25].

أما بونة فبشهادة المؤرخين والجغرافيين الرحالة ؛ كان أكثر تجارها من الأندلسيين الذين أغراهم حسن أسواقها وراج تجاراتها وخصب أرباضها ونواحيها ورخص أسعارها وتنوع حاصلاتها، من فواكه وقمح وشعير وعسل وغنم وبقر ومختلف أنواع الماشية والدواب، بالإضافة إلى وجود معدن الحديد بها بكثرة حيث يحمل إلى مختلف الأقطار[26].

ومن الأسماء ذات الدلالة الواضحة كأثر للنشاط البحري الأندلسي في ساحل المغرب الأوسط نجد المرسى المعروف بمرسى ابن الألبيري، الذي ينفرد البكري بذكره وإن لم يُفيدنا إلا باسمه وموقعه في مجال كتامة القبيلة والأرض ؛ [27] إلا أن ذلك لا يمنع من تأكيد وجود تجار ألبيرة الأندلسية بنسبة معتبرة في هذا المرسى ترددوا عليه لفترة طويلة، أو أنهم أول من أكتشف صلاحيته للملاحة والتجارة وشهّروا به فسمي باسمهم.

ولما كانت القلعة عاصمة بني حماد تفيض بالخيرات بفضل ما يجلب إليها من مختلف أقاليمها كالزاب وبلاد كتامة وزواوة، فإن واجهتها البحرية المتمثلة في بجاية -قبل تمصيرها- قامت بدور المرسى الرئيس الذي يتم فيه مختلف صفقات التبادل التجاري مع الأندلس، كون مرساها "مأمون شتوي"[28] يسمح للاضطلاع بهذا الدور، وربما

كان الأندلسيون الذين استوطنوا بجاية في القرون الأولى هم في الأصل تجار آثروا البقاء لمزاياها الصحية عكس بونة.

ومرسى الدجاج من المراسي المشهور أيضا وإن كان مرساها غير "مأمون" إلا أن ذلك لم يمنع الأندلسيين من ارتياده لوفرة خيراته من فواكه -خاصة التين- وقمح وألبان ومواشي ما زاد عن الحاجة وأغرق الأسواق المجاورة، كما كانت تسكنه جالية أندلسية[29] منذ القرن الرابع على الأقل.

وجزائر بني مزغنة منها يعبر إلى الأندلس، ومرساها مأمون تقصده سفن الأندلس وإفريقية، وتحمل منه غلات بواديه وأرباضه الواسعة الخصيبة كمتيجة ؛ فمن ذلك : السمن والتين والعسل والمواشي السائمة[30].

أما تنس فقد وصفها كثير من الجغرافيين بأنها "عدوة الأندلسيين" يقصدها الأندلسيون بسفنهم وبتجارتهم ويفضلونها على غيرها ؛ وهي أكبر المدن التي يتعدى منها أهل المشرق وأهل إفريقية إلى الأندلس[31]، ومنها كانت مراكب الأندلس تمتار القمح وتستورد مختلف أنواع الحبوب[32].

وبني جلداسن مدينة لطيفة بين تنس والشلف يسكنها الأندلسيون[33]، ونشاطهم غامض غير معروف، وربما كانوا على علاقة بتجار الأندلس المترددين على تنس.

ووهران مدينة ومرسى منها تقلع المراكب إلى الأندلس، قاطعة مسافة ما بينهما في يوم وليلة، ومرساها في غاية السلامة تقصده سفن الأندلس بكثرة، وتمتار منه القمح والشعير والفواكه والمواشي ؛ لذا يسميها الجغرافيون بـ "فرضة الأندلس"[34].

أما أشهر مراسي الناحية الغربية فيمثلها مرسى هنين الذي ارتبطت مكانته أكثر بتلمسان في العهدين الموحدي والزياني[35].

وهناك مراسي أخرى يصفها الجغرافيون بقولهم "مقصودة" ونحو ذلك مثل أرشقول وماسين وترنانا-وهي سواحل تلمسان- إلا أنها أقل أهمية من المراسي السابقة الذكر، والذي أقف عنده كآخر مرسى في المغرب الأوسط هو مرسى تابحريت بين تلمسان ووجدة، الذي يعد ملتقى قوافل سجلماسة وغيرها[36] المحملة بالذهب والرقيق ؛ فمنها تحمل هاتين السلعتين إلى الأندلس، يعود على السلطة المتحكمة فيه بأموال وفوائد جليلة وكذا التجار الذين يرتادونه.

ثانيا : البحارة الأندلسيين وتأسيس المدن الساحلية

كان لتزايد نشاط البحارة الأندلسيين في حوض البحر المتوسط - ولعوامل أخرى- أثر إيجابي على تطور ونمو حركة العمران في المغرب الأوسط وذلك ببناء وإعادة إحياء مدن قديمة أصبح لها شأن معتبر بالخصوص على الصعيد الاقتصادي، ومنها تنس ووهران وأسلن من المدن الساحلية، فالعلاقات الودية المتميزة لهؤلاء البحارة مع قبائل بربرية صديقة، شجع على إنشاء هذه المدن وإعطاءها صبغة

متميزة دائمة الحضور في تاريخ العمران المغربي، والتي كانت قد ظهرت بوادرها منذ القرن الثالث[37]، أما نشاط الأندلسيين من غير البحارة فكان أثرهم الإيجابي واضحا في المسيلة مع بني حمدون أمرائها[38] ودلس مع بني صمادح أمراء المرية الذين أقطعهم الأمير الحمادي المنصور بن الناصر بن علناس (481- 498 هـ) [39].

لقد كانت تنس مركز ومحطة فنيقية تجارية هامة في الحوض الغربي للمتوسط منذ القرن 2 ق.م، وبقيت كذلك في العهد الروماني - وكمستعمرة أيضا- حيث أخذت اسم "كارتينا أو كارتناس Cartennae- Cartennas"[40]، وفي القرنين 2 و3هـ كان تردد تجار ألبيرة وتدمير ومختلف مدن الأندلس على تنس بشكل كثيف، وفي فصل الشتاء حيث تتعذر حركة الملاحة البحرية يقيم التجار قرب المرسى إلى غاية انقضاء فصل الشتاء ثم يعودون إلى الأندلس، ومن أشهر هؤلاء البحارة التجار تذكر المصادر : الكركدن وابن عائشة والصقر وصهيب، ممن فاوضهم سكان تنس الأصليين من البربر ورغبوا منهم في الانتقال والسكنى معهم وأن يتخذوا قلعتها سوقا، مقابل ما يبذلون لهم من العون وحسن العشرة ويقطعونهم من أراضيهم لبنيانهم ؛ فأجابوهم لذلك وشرعوا في البنيان مؤسسين لتنس الحديثة ؛ وذلك سنة 262 هـ وهي إذ ذاك إمارة علوية، إلا أنه بحلول فصل الربيع اعتل بعض البحارة واستوبئوا موضع المدينة الحديثة فغادروها نحو بجانة الأندلسية، وبقي الآخرون بها وأموالهم وعددهم يزداد كل موسم، فأغرى ذلك بعض الأندلسيين الذين لم

يسبق لهم ارتياد المدينة إلى الهجرة نحو تنس، كما أغرى أهل سوق إبراهيم فرحلوا إليها في أربعمائة بيت فلاقوا كل ترحاب وعون من أهل تنس الحديثة[41]، وقد استمرت تنس في ريادة المحطات التجارية للمغرب الأوسط في العهدين الحمادي والموحدي على السواء[42] بفضل جهود هؤلاء الأندلسيين ومهارتهم التجارية التي أخذها عنهم مع مرور الوقت أصلاء تنس.

وتتشابه ظروف تأسيس وهران بظروف تأسيس تنس الحديثة، فقد كان البحارة الأندلسيون ينتجعون موضع وهران ويترددون عليه للتجارة فيه، وباتفاق مع سكانها من نفزة وبني مسقن من أزداجة سنة 290 هـ قام محمد بن أبي عون ومحمد بن عدون وبقيت البحارة ببناء وهران[43] المدينة وسكنوها لمدة سبع سنوات، وفي ذى الحجة من سنة 297 هـ وقعة فتنة خربت فيها وهران وأضرمت النار في أبنيتها، ثم أعيد تشيدها في شعبان من السنة التالية فعادت أحسن مما كانت ؛ تولاها محمد بن أبي عون من قادة البحارة الأندلسيين المؤسسين لها، واستمرت عمارتها في الاتساع والرقي إلى غاية سنة 343 هـ حيث أحرقها وخربها يعلى ابن محمد أحد أمراء بني يفرن بعد أن أخرج أهلها منها، وبقيت على تلك الحال سنين عديدة ثم عمرت من جديد[44].

والجدير بالذكر هنا أن روايات مؤرخي الجزائر العثمانية وبعض معاصريهم يتجاوزون هذه المرحلة من تجديد بناء وهران على

يد بحارة الأندلس، ويقفون فقط عند السنوات الأولى من حكم بني خزر المغراويين لها، وما تعلق بالصراع بين أنصار الفاطميين وأنصار أمويوا الأندلس من أجل السيطرة عليها[45].

أيا ما كان الأمر فإن وهران بقيت محافظة على حيويتها البحرية واتصال تجارتها بتجارة الأندلس استيرادا وتصديرا مرورا أحيانا بمراسي المغرب الأقصى ؛ فقد ذكر عبد الحق البادسي[46] في نهاية القرن 7هـ وبداية القرن 8هـ أن قاربا كبيرا كان محملا بالتين والزيت وصل من إشبيلية إلى مرسى بادس وعازما على التوجه إلى وهران.

ولدينا نموذج آخر لبناء مدن الساحل المغربي لكن دون أن يباشر البحارة الأندلسيين هذا العمل، وإنما من طرف السلطة الرسمية في قرطبة، والمدينة المعنية هنا هي مدينة أسلن الواقعة شرقي أرشقول، وهي مدينة قديمة كانت لمغيلة القبيلة الزناتية، أوفد إليها المنصور بن أبي عامر متولي أمور الخلافة الأموية في الأندلس في القرن الرابع حميد بن يزيد "فبناها وجددها"[47].

ونموذج ثاني تكرر مع مدينة فكان وهي مدينة وسوق قديمة من أسواق زناتة، على ساحل البحر متصلة بجبل ونشريس من أحواز تلمسان على مرحلتين من أسلن، كانت قد خربت فجدد بنائها المنصور بن أبي عامر على يد يعلى بن محمد اليفرني سنة 338 هـ "فعمرت وتمدنت وعظمت"[48].

إن الاهتمام بهاتين المدينتين البحريتين كان يهدف إلى تعزيز التجارة المغربية الأندلسية من قبل السلطة الرسمية ولفائدتها ؛ خصوصا وأن مدينة فكان تم التركيز عليها باعتبارها سوقا أكثر منها مدينة.

وأشير أخيرا إلى أن التركيز على ذكر المراسي والمدن الساحلية وما يقابلها من مثيلاتها في العدوة الأخرى والمسافات التي تفصل بينهما[49]، له دلالة واضحة على متانة العلاقة بين العدوتين في الفضاء المتوسطي، سواء أتعلق الأمر بتنقلات الأشخاص أو بالبضائع والسلع أو بالأفكار والتأثيرات الحضارية.

ثالثا : نموذج المدينة الساحلية الأندلسية : ازدهار تدلس في ظل بني صمادح

لقد شهدت تدلس ازدهارا مشهودا في ظل بني صمادح أمراء المرية بعد سقوط مملكتهم على يد المرابطين في رمضان سنة 484 هـ، لكن لنحرر الخلاف الذي ذكره المؤرخون بخصوص مستقر بني صمادح بعد عبورهم إلى العدوة المغربية، فهم يذكرون أحيانا أنهم استقروا بتدلس وأحيانا تنس وأحيانا الجزائر.

فرواية أبي عامر السالمي[50] التي نقلها ابن الأبار[51]، ورواية ابن عذاري[52]، تفيد أنهم اقطعوا تنس واستقروا بها.

أما رواية الحجاري التي نقلها الصفدي وابن الخطيب[53] فتفيد أنهم استقروا بالجزائر وبها توفي أبو يحيى أحمد الأمير المخلوع.

وباقي الروايات[54] على خلاف ما ذُكر ؛ فهي تتفق على إقطاعهم مدينة تدلس وهو المرجح لتظافر الروايات على ذلك، سيما وقد تبناها ابن خلدون وعززها النويري الذي ينقل أخبار المغرب عن مؤرخي السلالة الصنهاجية كابن شداد، وابن الخطيب في موضع ثان أورد الخبر بصيغة الجزم حين قال : "وأسكنه بها (تدلس) حسبما هو معروف"، دون أن ننسى أن الأمير عبد الله بن بلكين مؤرخ معاصر للأحداث.

لم تكن تدلس من المدن أو المراسي المشهورة قبل القرن السادس الهجري، حيث لا نجد لها ذكرا في مصنفات الأدب الجغرافي العائدة إلى الفترة السابقة له، وأول من ذكرها هو الإدريسي، ومن المرجح أنها كانت تابعة لمدينة بني جناد[55] على مقربة من مدينة ومرسى الدجاج[56] التي تبعد عنها بـ 24 ميلا، وهي إحدى المدن الساحلية التي توجد بها جالية أندلسية من البحارة والتجار ضمن مجالات كتامة.

ونحن نعلم أن مدينة تدلس قد هُجِرت منذ الزلزال الذي حل بها أيام كونها مستعمرة رومانية (146 ق م-415م) وكان يطلق عليها اسم Rousoukkour، حيث استعملت كمرسى بحري للصيد[57]، فهي لم تشهد ازدهارا استوقف الجغرافيين والمؤرخين وكذا الباحثين المعاصرين إلا بعد أن حل بها بنو صمادح ومن معهم من أندلسي المرية[58]، وهذا ما حدا بعبد الرحمن الجيلالي إلى اعتبار أن ابن

صمادح هو مؤسس تدلس[59]، أما الكاتب الفرنسي يفر G. Yver فيرى أن ابن صمادح حل بتدلس سنة 496هـ واليا عليها من قبل المنصور خلفا لوالي حمادي لا نملك اسمه، كان قد تولى إدارة مدينة تدلس بعد تأسيس بجاية[60]، وهو قول لا يستند إلى دليل، فالقائمة التي أوردها ابن خلدون- وهي الوحيدة- عن ولاة المدن الحمادية لا تضم اسم تدلس البتة.

أيا ما كان الأمر فقد شهدت المدينة أيام بني صمادح أول تمركز للأندلسيين وظهر ازدهارها الاقتصادي والمعماري الذي ترجمه الإدريسي بقوله : "وهي على شرف متحصنة لها سور حصين وديار ومتنزهات وبها من رخص الفواكه والأسعار والمطاعم والمشارب ما ليس يوجد بغيرها مثله، وبها الغنم والبقر موجودة كثيرا وتباع جملتها بالأثمان اليسيرة، ويخرج من أرضها إلى كثير من الآفاق"[61].

كما بقي مرسى المدينة قرون بعد ذلك ترسو فيه سفن الأندلسيين النازحين من موطنهم الأصلي حتى بعد سقوط آخر معاقلهم بغرناطة[62].

لقد اقترن ظهور تدلس كمدينة وازدهارها الاقتصادي والمعماري والفني بنزول بني صمادح بها وهذا له دلالة بينة، فلا شك أن الأمير الحمادي المنصور قد أقطعهم أرض تدلس على أساس التمليك باعتبارها أشبه ما تكون بأرض الموات[63]، فعملوا على تغيير حالها إلى الأحسن

بنقل معارفهم وتجاربهم الأندلسية في البناء والعمارة وفلاحة الأرض وتنمية الأموال بالتجارة، بما في ذلك حياة الترف التي تدل عليها المنتزهات التي عرفت بها تدلس، كما عملوا على بعث الحركة العلمية والثقافية للمنطقة إذ أصبحوا قبلة للوافدين عليهم من الأدباء والشعراء كابن اللبانة[64] الأندلسي الشاعر المشهور.

خـاتـمـة

إن أثر الأندلسيين في المغرب الأوسط لم يقتصر على سواحل هذا الفضاء الجغرافي ؛ بل تعدته إلى مدن الداخل كالمسيلة وقسنطينة وتلمسان وغيرها. كما أن أثرهم تعدى المجال الاقتصادي التجاري والعمراني إلى المجالات الاجتماعية والعلمية والدينية المذهبية، وهذه دعوة لكشف جوانب هذه التجربة الفريدة وإثراء معالمها وتسليط الأضواء على مميزاتها وخصائصها، لأنها في النهاية تعبر عن حركية تاريخية في إطار فضاء المغرب الأوسط.

الهوامش :

1- حسين بن علي الويسي. اليمن الكبرى، ط2، ص.نعاء : مكتبة الإرشاد، 1422-1991، 1/247-249.

2- ابن الفقيه الهمداني. مختصر كتاب البلدان، ليدن : مطبعة بريل، 1884، ص.191، (مع أن النسخ المخطوطة للكتاب تختلف في صيغة العبارة)، آدم ميتز. الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري، ترجمة محمد عبد الهادي أبو ريدة، بيروت- القاهرة : دار الكتاب العربي- مكتبة الخانجي، 2/381.

3- المقدسي : أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، تحقيق محمد أمين الضناوي، ط1، بيروت : دار الكتب العلمية، 1424-2003، ص.190.

4- ابن القوطية. تاريخ افتتاح الأندلس، تحقيق إبراهيم الأبياري، ط3، القاهرة- بيروت : دار الكتاب المصري- دار الكتاب اللبناني، 1410- 1989، ص.47.

5- إحسان عباس. اتحاد البحريين في بجانة بالأندلس، مجلة الأبحاث (مجلة الجامعة الأمريكية في بيروت) السنة 23، كانون الأول 1970، ص. 3-14، عبد العزيز سالم ومختار العبادي. تاريخ البحرية الإسلامية في المغرب والأندلس، بيروت : دار النهضة العربية، 1969، ص. 194-150و167- 171، حسين مؤنس. تاريخ المسلمين في البحر المتوسط، ط2، القاهرة : الدار المصرية اللبنانية، 1413-1993، ص.97-101، عبد العزيز سالم. أسرات من قادة البحر الأندلسيين في العصر الإسلامي ضمن : بحوث إسلامية في التاريخ والحضارة والأثار، ط1، بيروت : دار الغرب الإسلامي، 1411-1991، 1/587-610.

6- ابن حيان. المقتبس من أنباء الأندلس، تحقيق محمود علي مكي، بيروت : دار الكتاب العربي، 1393- 1973، ص. 2.

7- عبد العزيز سالم والعبادي. تاريخ البحرية الإسلامية، ص.173-175.

8- الحبيب الجنحاني. الخلفية الاقتصادية للصراع الفاطمي-الأموي في المغرب، ضمن : دراسات في التاريخ الاقتصادي والاجتماعي للمغرب الإسلامي، ط2،

بيروت : دار الغرب الإسلامي، 1986، ص.155-177، فتحي زغروت. العلاقات بيت الأمويين والفاطميين في الأندلس والشمال الإفريقي، ط1، القاهرة : دار التوزيع والنشر الإسلامية، 1427- 2006، ص. 169-191 و216-227، أوليفيا ريمي كونستابل. التجارة والتجار في الأندلس، ترجمة فيصل عبد الله، الرياض : مكتبة العبيكان، 1423-2002، ص. 37.

9- جواتياين. وحدة عالم البحر المتوسط في أواسط العصور الوسطى، ضمن : دراسات في التاريخ الإسلامي والنظم الإسلامية، تعريب وتحقيق عطية القوصي، ط 1، الكويت : وكالة المطبوعات، 1980، ص.213.

10- راجع في هذا الموضوع : سحر السيد عبد العزيز سالم. أضواء على بعض المراكز التجارية في المغربين الأوسط والأقصى في القرن الثالث الهجري، مجلة اتحاد المؤرخين العرب- القاهرة-، عدد 7، 2000، ص.2-27.

11- ابن خرداذبة : المسالك والممالك، بغداد : مكتبة المثنى، ص. .34

12- الإصطخري : المسالك والممالك، تحقيق محمد جابر عبد العال الحيني ومحمد شفيق غربال، القاهرة : وزارة الثقافة والإرشاد القومي- دار القلم، ص.34.

13- البلدان، ط1، بيروت : دار الكت بالعلمية، 1422- 2002، ص. 190، 192.

14- ابن حوقل : صورة الأرض، بيروت : دار مكتبة الحياة، 1992، ص. 76- 79، وأنظر عن تحليل مواد كتابه بخصوص موضوعنا : صباح إبراهيم الشيخلي. النشاط التجاري في بلاد المغرب خلال القرن 4 هـ : دراسة من خلال كتاب صورة الأرض لابن حوقل، مجلة التاريخ العربي، عدد 6، ص. 23 وما بعدها.

15- المقدسي : أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ص.180.

16- من بين مزاياه أنه ينقل عن كتاب مهم جدا يعد الآن في حكم المفقود للوراق من القرن الرابع في مسالك إفريقية، وأنظر عن بقية المزايا : عبد الله يوسف الغنيم. مصادر 17- البكري ومنهجه الجغرافي، ط3، الكويت : ذات السلاسل، 1996، ص.139- 166.

18- المسالك والممالك، تحقيق جمال طلبة، ط1، بيروت : دار الكتب العلمية، 1424- 2003، 2/ 233، 266-269.

19- الإدريسي : نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، ط1، بيروت : عالم الكتب، 1409- 1989، 1/ 271-275، 2/ 535- 536، وعن الإدريسي ينقل محمود مقديش في : نزهة الأنظار في عجائب التواريخ والأخبار، تحقيق علي الزواري ومحمد محفوظ، بيروت : دار الغرب الإسلامي، 1988، ص. 99- 103.

20- أوليفيا ريمي كونستابل. التجارة والتجار في الأندلس، ص. 74.

21- مجهول. الاستبصار في عجائب الأمصار، تحقيق سعد زغلول عبد الحميد، بغداد، دار الشؤون الثقافية العامة، ص.127-135.

22- صالح بعيزيق. بجاية في العهد الحفصي، : دراسة اجتماعية واقتصادية، تونس : منشورات كلية الآداب- جامعة تونس، 2006، ص. 318 — 328 ؛ برونشفيك، تاريخ إفريقية في العهد الحفصي من القرن 10 إلى القرن 13م، ترجمة حماد الساحلي، ط 1، بيروت : دار الغرب الإسلامي، 1988. صفحات متفرقة من الجزء 1، سامي سلطان. الجاليات الإيطالية التجارية في المغرب الإسلامي حتى نهاية ق 14 م، سيرتا، عدد 10، أفريل 1988، ص. 86-121 ؛

Dominique Valerian. Bougie port Maghrébin, 1067-1510. École Française de Rome. 2006. p.503 ,555-587.

Laura Balletto. «Gênes et le Maghreb Au XVe siècle». dans : L'Occident musulman et L'Occident chrétien au Moyen Age. Rabat. Publication de la Faculté des Lettres- Université Mohammed V. p. 91- 106, Georges Jehel. Les Relation entre Gênes le Maghreb Occidental au Moyen Age, Aspects Politiques et Économiques ». dans : L'Occident musulman et L'Occident chrétien. op. cit. p.107-122.

23- أنظر بخصوص هذه المسألة والردود عنها : هنري بيرين. تاريخ أوربا في العصور الوسطى : الحياة الاقتصادية والاجتماعية، ترجمة عطية القوصي، القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1996، ص. 10- 14.

Allaoua Amara. « L'animation de la façade maritime du Maghreb central (VIII e -XIIe siècle) ».Revue des Lettres et Sciences Humaine Université Emir A.E.K. Constantine. N° 6. Oct. 2005. p. 6-9.

محمد حناوي. جوانب من العلاقات الاقتصادية والبشرية في الحوض الغربي للبحر المتوسط قبيل القرن العاشر الميلادي. ضمن : الغرب الإسلامي والغرب المسيحي خلال القرون الوسطى، تنسيق محمد حمام، الرباط : منشورات كلية الآداب- جامعة محمد الخامس، 1995، ص.152-156، جوزاف شاخت وكليفورد بوزورت. الإسلام في عالم البحر. ضمن : تراث الإسلام، ترجمة محمد زهير السمهوري وآخرين، سلسلة عالم المعرفة، الكتاب رقم 8، 1985، 85/1 وما بعدها.

24- لويس لومبار. الإسلام في مجده الأول، ترجمة وتعليق إسماعيل العربي، ط2، الجزائر : المؤسسة الوطنية للكتاب، 1984، ص. 102.

25- مجهول. الاستبصار، ص.126.

26- السيوطي. حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة، تحقيق خليل منصور، ط1، بيروت : دار الكتب العلمية، 1418- 1997، 287/2.

27- المقدسي. أحسن التقاسيم، ص. 183، 192، ابن حوقل. صورة الأرض، ص.76، البكري. المسالك والممالك 234/2،

Charles Féraud. Histoire des Villes de la Province de Constantine : La Calle, Alger. 1877. p.79-85 ,

F. elie de La Primaudaie. « Le commerce et la navigation de L'Algérie ». Revue Algérienne et Coloniale. juin 1860. p 3-11.

28- المقدسي. أحسن التقاسيم، ص. 184، ابن حوقل. صورة الأرض، ص.77، البكري. المسالك والممالك 234/2، أبو الفداء. تقويم البلدان، نشره رينود والبارون ديسلان، باريس : دار الطباعة السلطانية، 1840، ص.141، الحميري. الروض المعطار، ص.115، فاطمة بلهواري. النشاط الاقتصادي في بلاد المغرب خلال القرن 4 هـ، أطروحة دكتوراه دولة، جامعة وهران، 2004-2005، ص. 286، رشيد بورويبة. عنابة من الفتح الإسلامي إلى أواخر العهد الموحدي، الأصالة، عدد 34- 35، يونيو- يوليو 1976، ص. 68،

Paul- Lauis Combizat. L'évolution des cités du Tell Ifrîkiya de VIIe au XIe siècle. Alger, O.P.U, 1986. Vol II. p. 67-71.

29- المسالك والممالك 269/2، موسى لقبال. دور كتامة في تاريخ الخلافة الفاطمية، الجزائر : الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1979، ص.141.

30- البكري. المسالك والممالك 268/2، الحميري. الروض المعطار، ص. 80- 81، الطاهر قدوري. المسالك البحرية في المغرب الوسيط خلال القرنين 5 و6 هـ، مجلة التسامح، عدد 11، ص.يف 2005، ص. 293.

31- ابن حوقل. المصدر السابق، ص. 77، البكري. المسالك والممالك 246/2، الحموي. معجم البلدان 5/ 125، الحميري. الروض المعطار، ص. 539.

32- المقدسي. أحسن التقاسيم، ص. 184، ابن حوقل. نفسه، ص.78، البكري. نفسه 247/2، الحميري. الروض المعطار، ص. 163.

33- ابن خرداذبة. المصدر السابق، ص.34، ابن حوقل. صورة الأرض، ص.78، الإصطخري. المصدر السابق، ص.33، البكري. نفسه 242/2، الإدريسي. المصدر السابق 1/ 252، مجهول. الاستبصار، ص.133، ابن سعيد. الجغرافيا، تحقيق إسماعيل العربي، ط2، الجزائر : ديوان المطبوعات الجامعية، 1982، ص. 142، بلهواري. النشاط الاقتصادي في بلاد المغرب، ص. 286.

34- ابن سعيد. انفسه، ص. 142، الحميري. الروض المعطار، ص. 138.

Vincent Lagardere. « Le commerce des céréales entre al-Andalus et le Maghrib aux XIe et XIIe siècles ». dans : L'Occident musulman et L'Occident chrétien au Moyen Age. op. cit. p.123-150.

35- البكري. نفسه 251/2.

36- المقدسي. نفسه، ص. 185، ابن حوقل. نفسه، ص.79، البكري. نفس المصدر السابق 252/2، بلهواري. النشاط الاقتصادي في بلاد المغرب، ص. 287.

37- Mahmoud –Agha Bouayed. « Le port de Hunayn trait d'union entre le Maghreb central et l'Espagne au Moyen Age ». dans : relaciones de la Peninsula Ibérica con el Maghreb siglos XIII-XVI ; Actas del coloquio. (Madrid ; 17-18 décembre 1987), Madrid, Instituto Hispano-Arabe de cultura, 1988, p. 325-359.

38- البكري. نفسه 264/2.

39- J.D. Latham. « Towns And cities of Barbary the Andalusian influence ». in : from Muslim Spain to Barbary. London. Variorum reprints. 1986. p.189-190.

40- رفيق خليفي. البيوتات الأندلسية في المغرب الأوسط من نهابة القرن 3 هـ إلى نهاية القرن 9 هـ. مذكرة ماحستير. جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية. 1429-2008. ص 65-102.

41- رفيق خليفي. نفسه، ص. 112-122.

42- محمد الصغير غانم. التوسع الفنيقي في غرب البحر المتوسط، ص.101، محمد البشير شنيتي. الاحتلال الروماني لبلاد المغرب، ط2، الجزائر : المؤسسة الوطنية للكتاب، 1985، ص. 133.

43- البكري. المصدر السابق 2/242-243، الحميري. المصدر السابق، ص.138، سليمان الباروني. الأزهار الرياضية في أئمة وملوك الإباضية، تحقيق محمد علي الصُليبي، ط1، لندن : دار الحكمة، 2005، ص.89- 90، إحسان عباس. اتحاد البحريين في بجانة الأندلس، ص.5-6.

44- Allaoua Amara. « L'animation de la façade maritime du Maghreb central ».op. cit. p. 22. ؛ عز الدين عمر موسى : النشاط الاقتصادي في المغرب الإسلامي خلال القرن السادس الهجري، ط2، بيروت : دار الغرب الإسلامي، 1424-2003، ص.308-311، هشام أبو رميلة. علاقات الموحدين بالممالك النصرانية والدول الإسلامية في الأندلس، ط1، عمان : دار الفرقان، 1404- 1984، ص. 388، سامية مصطفى محمد مسعد. الحياة الاقتصادية والاجتماعية في إقليم غرناطة في عصري المرابطين والموحدين، ط1، القاهرة : مكتبة الثقافة الدينية، 1423-2003، ص.161، 166.

45- أنظر عن أصل تسمية وهران.

Farid Ben Ramdane. « De l'étymologie de Wahran de Ouadahran a Oran ». Insaniyat. N° 23-24. p.249-272.

46- البكري، المصدر السابق، 2/252-253، المزاري. طلوع سعد السعود في أخبار وهران والجزائر وإسبانيا وفرنسا، تحقيق يحيى بوعزيز، ط1، بيروت : دار الغرب الإسلامي، 1990، 1/ 56، الراشدي. الثغر الجماني في ابتسام الثغر

الوهراني، تحقيق المهدي البوعبدلي، الجزائر : منشورات وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية، ص.186، سليمان الباروني. الأزهار الرياضية في أئمة وملوك الإباضية، ص. 97-98، بشير مقيبس. مدينة وهران دراسة في جغرافية العمران، الجزائر : المؤسسة الوطنية للكتاب، 1983، ص. 79-82.

47- الجامعي. فتح مدينة وهران، تحقيق مختار حساني، منشورات جامعة الجزائر، 2003، ص.45- 46، ابن زرفة. الرحلة القمرية، تحقيق مختار حساني، منشورات جامعة الجزائر، 2003، ص. 210-212، أبي راس المعسكري. عجائب الأسفار ولطائف الأخبار، الجزائر : منشورات CRASC، 2003، 1/ 107-108، الزياني. الترجمانة الكبرى في أخبار المعمور برا وبحرا، تحقيق عبد الكريم الفيلالي، المحمدية- المغرب : مطبعة فضالة، 1387- 1967، ص.141، محمد بن عبد القادر الجزائري. تحفة الزائر في تاريخ الجزائر والأمير عبد القادر، تحقيق ممدوح حقي، ط2، بيروت : دار اليقظة العربية، 1384- 1964، 1/ 18-19.

48- عبد الحق الباديسي : المقصد الشريف والمنزع اللطيف في التعريف بصلحاء الريف، تحقيق سعيد أعراب، ط2، الرباط : المطبعة الملكية، 1414- 1993، ص.106.

49- البكري. المصدر السابق، 2/262.

50- الحميري. المصدر السابق ص440- 441.

51- البكري. المسالك والممالك 2/267- 268، الزهري. الجعرافيا، ص.128، الحميري. نفسه، 104، 340، القلقشندي. صبح الأعشى 5/ 109، 110، 150. 52- هو أبو عامر محمد بن أحمد عامر البلوي الطرطوشي، أصله من مدينة سالم من أهل العلم والأدب والتاريخ وهو أحد المصادر المهمة لابن الابار في تكملته وفي حلته، توفي نحو 559 هـ، ابن الأبار. التكملة 2/ 26، ابن عبد الملك المراكشي. الذيل 6/ 1/ 7، الصفدي. الوافي بالوفيات 2/ 80، السيوطي. بغية الوعاة 1/ 28.

53– ابن الأبار، الحلة السيراء 2/ 90.

54 – ابن عذاري، البيان المغرب 3/ 168.

55- الصمدي، الوافي بالوفيات 287/17، أعمال الأعلام، ص. 192.

56- الأمير عبد الله. التبيان عن الحادثة الكائنة، ص. 203، النويري. نهاية الأرب 24/ 265، ابن الخطيب. أعمال الأعلام (القسم المغربي)، ص. 97، ابن خلدون. العبر 6/ 234، إسماعيل بن نعمان. مدينة دلس : دراسة معمارية وأثرية 10- 13 هـ/ 16-19 م، رسالة ماجستير، جامعة الجزائر، 95- 1996.، ص. 14.

57- بنو جناد إحدى بطون قبيلة زواوة البربرية، استوطنوا سواحل جرجرة، وأهمل ابن خلدون ذكرهم، أسسوا مدينة ومرسى عرف باسمهم، وتسمى الآن جنات تبعد حوالي 20 كلم عن دلس وحوالي 25 كلم عن مقر ولاية بومرداس الحالية، أنظر : ابن حوقل. صورة الأرض، ص. 77، البكري. المصدر السابق 2/ 246، الإدريسي. نزهة المشتاق 1/ 273، ياقوت. المصدر السابق 5/ 125، مقديش. نزهة الأنظار 1/ 102.

58- أنظر عنه : الإدريسي. نزهة المشتاق 1/ 259، مجهول. الاستبصار، ص. 131، ياقوت. المصدر السابق، 5/ 125، ص في الدين البغدادي. مراصد الأطلاع 3/ 1258 (وردت عنده باسم مرسى الزجاج)، مقديش. نزهة الأنظار 1/ 91.

59- أنظر مختلف مراحل تطور المدينة في العصر القديم : إسماعيل بن نعمان. مدينة دلس : دراسة معمارية وأثرية، ص. 10- 11.

60- Allaoua Amara : La'nimation de la façade maritime du Maghreb central VIIIe – XIIe siècle. op. cit. p.15

61- تاريخ الجزائر العام 1/ 320.

62- دائرة المعارف الإسلامية، يفر، مادة تدلس TADALLĪS.9/5 : The Encyclopaedia of Islam. Article

63- نزهة المشتاق 259/1، ونقل عنه ذلك مقديش في : نزهة الأنظار 92/1، وقارن بوصف الحميري لها في : المصدر السابق، ص. 123.

64- إسماعيل بن نعمان. مدينة دلس : دراسة معمارية وأثرية، ص. 71.

65- أنظر حكم الإقطاع وإحياء أرض الموات والمسائل الفقهية المتعلقة بذلك : أبو يوسف يعقوب. كتاب الخراج، تحقيق الفضل شلق، ط1، بيروت : دار الحداثة، 1990، ص. 175-180، يحيى بن آدم القرشي : كتاب الخراج، تحقيق أحمد محمد شاكر، ط1 بيروت : دار الحداثة 1990، ص. 468-473، ابن سلام. الأموال، تحقيق عبد الأمير علي مهنا، ط1 بيروت : دار الحداثة 1988، ص. 276-294، أبو نصر الداودي التلمساني. الأموال، تحقيق محمد أحمد سراج وعلي جمعة محمد، ط1 القاهرة : دار السلام، 1421-2001، ص. 131-136.

66- أبو بكر محمد بن عيسى بن محمد اللخمي المعروف بابن اللبانة من فحول شعراء الأندلس مدح ملوك الطوائف ودخل بجاية وبها التقى ابن صمادح كما دخل تلمسان في حدود سنة 507، أنظر ترجمته، ابن خاقان. قلائد العقيان، ص. 256-263، ابن الخطيب. جيش التوشيح، ص. 59-72، الأصفهاني. الخريدة 107/17، ابن بسام. الذخيرة 3/2/666-702، عبد السلام الهراس. ابن اللبانة، مجلة البحث العلمي، الرباط : عدد 2، 1964، ص. 245-253، وعدد 3، 1964، ص. 213-240.